العدد 2451 - السنة التاسعة
الثلاثاء 19 رجب 1437 - الموافق 26 إبريل 2016
Tuesday 26 April 2016 - No.2451 - 9th Year
إعداد : ياسر السيد

أمهات المؤمنين

كثيرةٌ هي الخصائص التي اختص الله بها نبيّه محمداً – صلى الله عليه وسلم – على غيره من البشر، إظهاراً لقدره ومكانته، وإعلاء لمرتبته وشأنه، ومنها خصوصية كثرة زوجاته - صلى الله عليه وسلم - التي أثيرت حولها الشبهات من أعداء الإسلام والمنافقين قديما وحديثا..

فمن خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أبيح له الزواج بأكثر من أربع، قال الشافعي: «دلت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله أن يجمع بين أكثر من أربع من النسوة»... وقال ابن كثير: «وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء» .. فهذا الحكم من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - التي انفرد به دون غيره من الأمة، وذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الجور الذي قد يقع فيه غيره، إضافة لما في زواجه بأكثر من أربع من تحقيق لأهداف وحكم هامة..

ويطلق على زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهات المؤمنين، تكريما لشأنهن وإعلاء لقدرهن، وقد شرفهن الله – تعالى – بذلك فقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: من الآية6).. وقد بلغت زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - اللاتي دخل بهن إحدى عشرة، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري، وابن القيم في زاد المعاد، وهن كالآتي:

خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها -:

تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أول امرأة آمنت من هذه الأمة، وبقيت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، فكانت له وزير صدق، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ولأم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - خصائص كثيرة اختصت بها، منها: أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يتزوج غيرها، وأن أولاده جميعا كلهم منها إلا إبراهيم - عليه السلام -، وهم القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة..

ومن عظيم خصائصها أن الله - عز وجل - بعث إليها السلام مع جبريل - عليه السلام -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (أتى جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام، أو إناء فيه شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها من ربها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب (لؤلؤ مجوف)، لا صخب فيه ولا نصب) (البخاري).

سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -:

هاجر زوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافرا، فزوجه بها والدها زمعة بن قيس.. ومن خصائصها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أراد طلاقها آثرت عائشة - رضي الله عنها - بيومها ووهبته لها، حبا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإيثارا لبقائها معه فأمسكها، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها، وهي راضية بذلك، مؤثرة لرضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها.

عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما -:

تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع..

ومن خصائصها أنها كانت أحب أزواج النبي إليه، فقد سئل النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أي الناس أحب إليك؟، قال: عائشة، قيل: فمن الرجال؟، قال: أبوها) (البخاري)..

ولم يتزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - بكرا غيرها، وكان الوحي ينزل عليه - صلى الله عليه وسلم - وهو في لحافها دون غيرها، ولما أنزل الله آية التخيير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحزاب:28)، بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - بها فخيرها فقال: (ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، فقالت: أفي هذا أستأمر أبوي؟، فإني أريد الله ورسوله) (البخاري)، فاقتدى بها بقية أزواجه - صلى الله عليه وسلم - وقلن كما قالت..

ومن خصائصها أن الله براها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في براءتها وحيا يتلى إلى يوم القيامة.. وقد توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيتها، وعلى صدرها، ودفن في حجرتها.. وكان الأكابر من الصحابة - رضي الله عنهم - إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها..

حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما -:

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت قبله عند خنيس بن حذافة وكان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهد بدرا وأحدا، وأصيب في أحد بجراح مات منها، فتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -..

ومن خصائصها - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طلقها، فأتاه جبريل فقال: (إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة) (الطبراني)..

أم حبيبة - رضي الله عنها -:

هي رملة بنت صخر بن حرب، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر بها، فتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطبها، وولي تزويجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه -..

وهي التي أكرمت فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجلس عليه أبوها قبل إسلامه وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه..

أم سلمة - رضي الله عنها -:

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة، كانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، وكانت – رضي الله عنها – من النساء العاقلات الناضجات، يشهد لهذا ما حدث يوم الحديبية..

قال الإمام ابن حجر: «.. وإشارتها على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها»..

وقد أخذت أم سلمة حظاً وافراً من أنوار النبوّة وعلومها، حتى غدت ممن يُشار إليها بالبنان فقها وعلماً، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً..

زينب بنت جحش - رضي الله عنها -:

هي زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة وطلقها، فزوجها الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - من فوق سبع سماوات، وأنزل قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: من الآية37).. وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقول: (زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته) (البخاري)، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع..

زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها -:

هي زينب بنت خزيمة الهلالية، وكانت تحت عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - الذي شهد بدرا وقتل يوم أحد.. تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، وعاشت ثمانية أشهر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم توفيت، وقد صلى عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودفنها بالبقيع.

جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها -: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سنة ست من الهجرة، وتوفيت سنة ستة وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان ذلك من بركتها على قومها - رضي الله عنها -..

صفية بنت حيي - رضي الله عنها -:

تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - صفية بنت حيي سنة سبع بعد غزوة خيبر حيث سبيت فيها، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل سنة خمسين، ومن خصائصها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعتقها وجعل عتقها صداقها، قال أنس - رضي الله عنه -: (أمهرها نفسها) (البخاري)..

ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -:

أشار العباس - رضي الله عنه - على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزواجها، فتزوجها مواساة لفقد زوجها، واعترافا بفضلها، وتحبيبا لقومها في الإسلام، وقد تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - وبنى بها بسرف (مكان قرب مكة)، وماتت بسرف، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وهي خالة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -..

وكانت - رضي الله عنها - مثلاً عالياً للصلاح والتقوى، حتى شهدت لها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بقولها: «.. أما أنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»..

وقد روت عدداً من الأحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، كان منها صفة غسله - صلى الله عليه وسلم -..

هؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، ومن نساؤه - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا والآخرة، وقد عاشت زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهات المؤمنين في غرفهن الصغيرة بجوار المسجد النبوي، يستمعن لأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشتركن في بيان تعاليم الإسلام وأحكامه - خاصة في شئون المرأة -، ثم لهن حياتهن الخاصة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحافلة بالعبادة والعلم، المليئة بالدروس والعبر، الدافقة بالخير والعطاء..

وقد توفيت اثنتان منهن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهما خديجة وزينب بنت خزيمة - رضي الله عنهما -، وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تسع منهن، ودُفِنَ جميعا في البقيع بالمدينة المنورة، ما عدا خديجة - رضي الله عنها - فدفنت في الحجون بمكة، وميمونة بنت الحارث – رضي الله عنها – دفنت في سرف قريبا من مكة.

لقد عاش النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من خديجة - رضي الله عنها - ولها ما يقارب ضعف عمره، حتى تجاوز مرحلة الشباب، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت عن خمسة وستين عاما، وقد قرب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الخمسين من عمره، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عُمُر الإنسان هو الزمن الذي تقوى فيه الدوافع لذلك، لكن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يفكر في أن يضم إليها - رضي الله عنها - مثلها من النساء زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه، وهو أمر طبيعي في هذه البيئة.

ومن ثم فكثرة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بهدف التمتع وإشباع الشهوة، وإن كان ذلك أمرا فطريا سائغا لا يعاب الإنسان به، وقد كان ذلك سائدا بين العرب آنذاك، وقد عدّد الأنبياء قبله - صلى الله عليه وسلم -، ومع ذلك فإن هدف النبي - صلى الله عليه وسلم - من زواجه كان أسمى من ذلك وأعلى..

ففي زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - كثير من الحكم التشريعية والإنسانية والتعليمية، إضافة إلى ما يتعلق بمصلحة الدعوة وتبليغ الرسالة..

فقد حرص في بعضها - صلى الله عليه وسلم - على توثيق الرابطة بين الإسلام وبعض القبائل، كما حدث عندما تزوج بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، الذي كان من آثاره إسلام جميع قبيلتها، وكزواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي بن أخطب..

وهدف في بعضها الآخر تكريم أرامل الشهداء الذين ماتوا في الحبشة، أو استشهدوا من أجل الدعوة في سبيل الله، وتركوا أرامل لا يقدرون على تحمل أثقال الحياة وأعبائها الجمة، مثل أم سلمة - وزينب بنت خزيمة، وسودة بنت زمعة..

وكان في بعضها الآخر زواجا تشريعيا كزواجه - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش وذلك لهدم نظام التبني الذي كان موجودا عند العرب.. ومنها توثيق أواصر الترابط بينه وبين صاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر، وتكريمهما بشرف المصاهرة به، وذلك ظاهر في زواجه - صلى الله عليه وسلم - بعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر - رضي الله عنهم -..

وثمة أمر آخر هام وهو أن الإسلام - الذي هو خاتم الأديان - بحاجة إلى من يبلغ أحكامه الشرعية الخاصة بالنساء وهي كثيرة، وزوجة واحدة لا تستطيع القيام بهذا العبء وحدها، فالأمر أكبر من ذلك بكثير، وقد ذكر رواة السنة أن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - روين أكثر من ثلاثة آلاف حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومن ثم فقد ساهمت أمهات المؤمنين خاصة - عائشة وأم سلمة - مساهمة فعالة في نقل السنة النبوية -، وهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله - إلى الأمة الإسلامية..

وقد ذكر الإمام ابن حجر في فتح الباري حكما كثيرة للعلماء من استكثاره - صلى الله عليه وسلم - من الزوجات، أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.. ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.. ثالثها: الزيادة في تألفهم لذلك.. رابعها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.. خامسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.. سادسها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.. سابعها: تحصينهن والقيام بحقوقهن..

ومن ثم فإن لكل من زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمهات المؤمنين حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورفعة شأنه وكمال أخلاقه..

«لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»

أوجب الله عز وجل على كل مسلم حب النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، وتوقيره والأدب معه، فقال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: 9)، قال السعدي: «أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه صلى الله عليه وسلم، ومن حبه وتعظيمه صلى الله عليه وسلم الأدب معه، فالأدب معه صلى الله عليه وسلم أدب مع الله، إذ الأدب مع الرسول هو أدب مع المُرْسِل سبحانه، كما أن طاعة الرسول طاعة لله تعالى، كما قال الله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء:80)، فلا يُتصور محبته صلى الله عليه وسلم مع سوء أدب معه، ومن هنا قال ابن تيمية: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتوقير له صلى الله عليه وسلم قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله».

ومن صور محبة النبي صلى الله عليه وسلم والأدب معه: عدم رفع الصوت فوق صوته، وذلك لأن رفع الصوت فوق صوته صلوات الله وسلامه عليه من أسباب حبوط الأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:2)، وهذا ما خافه ثابت بن قيس رضي الله عنه على نفسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد (لم يجد) ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكّسا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال صلى الله عليه وسلم: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة) رواه البخاري.

وفي هذا الموقف النبوي مع ثابت بن قيس رضي الله عنه فوائد كثيرة، منها:

حب النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وسؤاله عن أحوالهم:

مع شدة انشغال النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة وعظم مسئولياته فقد كان من هديه وسنته السؤال عمّن غاب من أصحابه رضي الله عنهم، وله في ذلك الكثير من المواقف التي ذكرتها السيرة النبوية المشرفة والأحاديث الصحيحة، ومن ذلك سؤاله عن ثابت بن قيس رضي الله عنه لما افتقده، ففي رواية البخاري: (أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس)، وفي رواية مسلم: (فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى؟ فقال سعد: إنه كان لجاري وما علمت له بشكوى)، وهذا يدل على مدى حب النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه واعتنائه بهم، كما يدل على أن تَفَقُّدَ الغائب والسؤال عنه سُنّة نبوية، وخُلُق نبوي كريم، ربّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه بقوله وفعله.

فضل ثابت بن قيس رضي الله عنه:

ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه كان خطيب الأنصار، وكان جهير الصوت، خاف على نفسه خوفا شديدا أن يكون صوته علا فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ممن قال الله عنهم: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:2)، فاعتزل الناس وجلس في بيته منكس الرأس، قال راوي الحديث: (فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه)، وفي ذلك تعظيمه لأوامر الله عز وجل ونواهيه، وعظيم حبه وأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم، وشدة خوفه أن يكون عمله قد حبط، مع أن هذه الآية إنما نزلت في حق من يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم من غير قصد سوء الأدب معه، قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يُقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون»..

سورة الحجرات
بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝

وفي هذا الموقف من السيرة النبوية فضل عظيم لثابت رضي الله عنه، فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة).

عدم رفع الصوت فوق صوت النبي:

محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره من أفضل شعب الإيمان، ومن أجل أعمال القلوب، ومن حقه صلى الله عليه وسلم علينا أن نحقق محبته اعتقادا وقولا وعملا، ونقدمها على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ومن صور هذه المحبة عدم رفع صوتنا فوق صوته - حيا وميتا - قال القاضي أبو بكر بن العربي: «حُرْمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يُعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به». وقال ابن عطية في تفسيره لهذه الآية: «وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم».

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين: هل يشمل عدم رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم، عدم رفعه عنده بعد موته، أي: عند قبره؟، فأجاب: «رفع الصوت عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام يدخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ﴾ (الحجرات:2)، وإن كنّا لا نخاطبه لكن لا يليق أن نرتفع الأصوات عند قبره، ولهذا لما سمع عمر رضي الله عنه رجلين من الطائف يرفعان أصواتهما عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام، سألهما وقال: «أتعلمان أين أنتما؟ ثم قال: من أي بلد أنتما؟ قالا: من الطائف، قال: لو كنتما من هذا البلد لفعلت كذا وكذا»، فدل هذا على أن من تمام الأدب ألا يرفع الإنسان صوته عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم». واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم، وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته، وتعظيم أهل بيته وصحابته».

لا يُتصور ممن يحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تنطلق جوارحه بطاعته واتباعه، واتخاذه قدوة وأسوة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران:31)، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21)، كما لا يتصور ممن يحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأدب معه، والذي من صوره ومظاهره خفض الصوت عنده، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:2)، وهذا ما ظهر في موقف ثابت بن قيس رضي الله عنه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي موقف عمر رضي الله عنه مع الرجلين اللذين رفعا أصواتهما في المسجد النبوي وكان ذلك بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه.. قال ابن القيم في مدارج السالكين: «ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم: أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟!، أترى ذلك موجبا لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوطها؟!».